دور الجزائر وليبيا في حركة التحرر الإفريقي 1954/1974
النموذج و الاحتضان

أ. فضيلة علاوي / قسم التاريخ/ جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

الملخص :

تعد ثورة التحرير الجزائرية (1954) التي أعادت للدولة الجزائرية سيادتها – التي وضع أسسها الأمير عبد القادر الجزائري ، عبر مقاومته للإستدمار الفرنسي . من أهم حركات التحرر التي قادت الى انتشار ثقافة التحرر في افريقيا والعالم ، والتي سيظل اشعاعها مستمرا وأنموذجا يحذى به في مواجهة كل أشكال الإستدمار الجديدة ، لأن أسسه بنيت على مبدأ أن استقلال الجزائر لن يكون مكتملا الا عبر التحرر الكامل للمناطق الإفريقية التي ماتزال محتلة .

ولقد ساهمت في تفعيل هذا المبدأ العديد من حركات التحرر في افريقيا . لبيبا أنموذجا . للخروج من سياسة الهيمنة التي تمارسها فرنسا في عالم اليوم ، وبالخصوص عبر دعمه لبعض دول المنطقة ، والتي تحول دون التوصل إلى ايجاد حل لمسألة الصحراء الغربية ، التي تعد آخر مستعمرة في افريقيا .

The summary:

The Algerian War of Liberation (1954), which restored to the Algerian State-founded by Emir AbdelKader- its sovereignty, remains one of the great liberation movements that led to the spread of culture of liberation in Africa and all over the world. It will continue shining as a model for any resistance against the new types of colonization, since its principles were built on the fact that the independence of Algeria cannot be

completed before the liberation of all the colonized regions in Africa.

This objective has been promoted by the contribution of several liberation movements in Africa-Libya as a model- to run away the French policy of hegemony, especially through the support of some states in the region. Such a policy hinders any effort towards an effective solution of the Western Sahara issue, as a last colony in Africa.

توطئة/

لقد أضحى من المتعارف عليه أن الثورة الجزائرية التي اندلعت في الأول نوفمبر 1954، ودامت سبع سنوات ونيف في مواجهة الاحتلال الفرنسي، كانت من أهم وأبرز المساهمين في بعث معاني الحرية والسيادة الشعبية في ربوع المعمورة خلال الحقبة المعاصرة، إذ ساعدت على انتشار ثقافة التحرر في محيطها أصلا، وفي العالم التواق إلى الحرية كلها، لأنها نابعة من قيم تحررية ثابتة وعريقة، أكدت عليها مختلف مواثيق الثورة بداية من بيان أول نوفمبر1954 .

وهي بذلك سبقت الثورة الفرنسية في هذا المضمار، فالثورة الفرنسية التي اعتبرها الكثير من الدارسين والباحثين، ثورة مؤسسة للتعددية والديمقراطية في محيطها، في حين أنها أخفقت هذه الأخيرة في تصدير الحرية والديمقراطية للآخرين لأن مرجعيتها بنيت على البحث عن المصالح وقياس العلاقات بها فصدرت للعالم استعمارا لا عدل فيه؛ ولعل أحد ربائبها وثيقة كامبل [1] التي هي شهادة تاريخية على التواطؤ بين النخب والساسة ورجال الدين على شرعنة الاستعباد والرق الجماعي وإحياء جذور الاستعباد المناقضة للتحرر .

وقد كان ذلك واضحا لدى الرئيس هواري بومدين، عندما أقر أن فرنسا لن تتخل عن أطماعها في أفريقيا وإبقاء الأخيرة للأفارقة الفرنكفونين كوجه آخر للاستعمار والتبعية؛ ما يتطلب من الجزائر أن تكون رمزا مستمرا للمقاومة والحرية واحتضان حركات التحرر وهي بذلك مستهدفة بحملة فرنسية لإعاقة تطور الجزائر ودورها: " **فرنسا الرسمية لم تتخل بعد عن أطماعها في إفريقيا وخاصة مناطق النفوذ، وفرنسا لم تتخل في منطقة شمال إفريقيا عن إستراتيجية المصالح هذا هو الواقع وهذا هو الجوهر، فرنسا لم تنس استعمارها ويحز في نفسها أن ترى الشعب الجزائري يبني نفسه ،هناك من يدفع المال وفرنسا لا تزال تدفع السلاح** "[2]

وبالرغم أن مصطلح حركة التحرر[3] حديث في المنظومة الاصطلاحية السياسية والتاريخية إلا أننا نعتقد بعدم الفصل بين تلك الجذور التي أسست لحركة الرفض المسلح والسياسي والاجتماعي للاستلاب والاستعمار وبين الثورة في شكلها الأخير الذي يمكن القول أنه أعطى النموذج المتكامل للتحرر فاقتدت به عشرات الدول التي تحررت بسببه لتستكمل سيادتها أو التي ثارت لأجل الحرية أو لا تزال سواء في المحيط الأممي كقضية فلسطين [4] أو في إفريقيا على غرار الصحراء الغربية [5]، التي تمثل آخر استعمار في القارة الإفريقية موضوع حديثنا، وقد أعطت ثورة المغرب الأوسط[6] إشعاعا تحرريا لكل المغرب العربي،[7] ليكون نموذجا حيا لحركات التحرر كما أسست للحاضنة الإفريقية الأكبر لزعماء التحرر ومنظماته التي كان العالم يطاردها والجزائر توفر لها قواعد الانطلاق لأنها تؤمن بقضية التحرر كجزء من عقيدة الدولة وعقيدة جيشها سليل جيش التحرير و وريثه .

أولا: الجذور التاريخية للتحرر في المشروع التأسيسي للأمير عبد القادر

إن الحديث عن النموذج والاحتضان يبدأ من الوقوف أمام جذور النموذج واللبنات الأساسية للحاضنة حيث نعتبر أن الأمير عبد القادر بن محي الدين [8] هو نقطة انطلاق التحرر في المغرب العربي خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين المغاربة، الذين

حاولوا القفز على الحقائق التاريخية، واعتبار الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي مؤسس لجنة تحرير المغرب العربي، هو المؤسس لهذا التوجه، ما يعني القفز على حقيقة قائمة، هي دور الحركة الوطنية الجزائرية، والقراءة المتأنية لمكونات الحالة السياسية التي أسسها الأمير عبد القادر، تعكس بعمق ما تتحدث عنه الورقة حول النموذج والحاضنة؛ فالأمير عبد القادر:

1- كان صوفيا بأكمل وجوه التصوف وعلى أعلى مستويات العرفان ومقامات أهل الطريقة وهو امتداد للتصوف الجهادي الذي كان عليه أئمة المتصوفة كالشاذلي و"أبي مدين التلمساني"، والتصوف أصل في التحرر لأنه يبحث في الإنعتاق من كل القيود فكيف بالقيود على الحرية والحقوق الأساسية للإنسان وعلى رأسها حرية وسيادة الشعوب في خياراتها المرتبطة بمكونات الشخصية العامة والخاصة

2- كان رجل مقاومة ، أسس لدولة المقاومة وجعل حالة الانتقال من عاصمة إلى أخرى قاعدة في ارتباط الدولة بالحرية والسيادة على الأرض فحيث لا سيادة لا توجد حرية وعلى تلك القيم بنى الدولة وجعل لها شخصية خاصة بها بعد أن انتهت سلطة الخلافة الإسلامية [9] على الجزائر بسبب الاستعمار الفرنسي الذي سبق السقوط النهائي للخلافة بقرن من 1830 إلى 1924 مع بداية تشكل الدولة الوطنية الحديثة في العالم العربي وإفريقيا

3- كان مجددا وطنيا أخرج الجزائر من النظام القبلي الذي آلت إليه الأوضاع إلى الجماعة الوطنية التي أصبحت أساسا للتحرر على أساس الوطن بثوابته التي بقيت مستمرة في الدولة الوطنية الحديثة، واعتبر الأمير بذلك مؤسس الدولة أو بالأحرى مجدد الدولة الجزائرية بمشروع مجتمع أصبح قاعدة للتحرر ونموذجا في البعد التحرري الوحدوي المناهض لمشاريع التقسيم، التي لا تزال إستراتيجيتها قائمة إلى اليوم

لقد كانت حالة التحرر في المغرب العربي ابتداء من بيعة الأمير عبد القادر ومثيلاتها من حالات المقاومة تؤسس للنموذج التحرري المقاوم والوحدوي، والتي تعمقت بمقاومة الأمير خالد الدبلوماسية [10] التي عبرت عنها رسالته إلى الرئيس الأمريكي ولسون[11] ثم بدأت تتبلور في نجم شمال إفريقيا [12] وما تلاه من مظاهر التحرر العابرة للقطرية مثل ثورة الأمير بن عبد الكريم الخطابي [13] ولجنة تحرير المغرب العربي [14] ثم مؤتمر طنجة وانتهاء إلى ثورات التحرير

ثانيا : كعبة الأحرار مشروع مستمر وممارسة منتجة

تعتبر الجزائر نموذجا حقيقيا في العمل التحرري، لأنها قدمت نموذجا مبنيا ومتكاملا يبدأ تحريرا وينتهي تحريرا. وينطلق من بأبسط وسيلة، لأنه يستمد قوته من فكرة الحرية، ويعرف منذ بدايته المآلات والنهايات، ويتضمن مشروعا متكاملا ويستعد لدفع ضريبة المقاومة والتحرر، وكانت المقاومات المختلفة وصولا إلى الثورة، تملك مشروع إعادة بناء الدولة، وفقا لبرنامج ثقافي واقتصادي وسياسي، وهو مشروع متكامل لدولة وليس لحرب فقط، فالتحرر بناء مشروع مستمر وليس حربا معزولة عن مشروعها وهو الفرق في نظري بين الحرب والثورة

وقد كانت نصوص هذه المراحل كلها تقوم على أساس البعد التحرري كحق مطلق للشعوب مما ساهم في صناعة الوعي التحرري وتأسيس حركات التحرر الإفريقية التي تماهت مع مظاهر التحرر في المغرب العربي ووجدت البيئة الحاضنة لها حتى إبان الثورات التحريرية في دول المغرب العربي وعلى رأسها الثورة الجزائرية وهي في حالة الثورة ثم الدولة الجزائرية فيما بعد استرجاع الاستقلال حتى سميت الجزائر كعبة الثوار ولهذه التسمية قصة يرويها المجاهد جلول ملائكة [15] مسؤول مكتب حركات التحرر في جبهة التحرير بعد 1964 حين سئل عن الموضوع قائلا " **خلال ندوة صحفية نشطتها مع الزعيم الإفريقي الكبير "أميكال كابرال" من غينيا بيساو في فيلا بومعراف (مقر**

منظمة المجاهدين حاليا) في 1968، وأكدت في كلمتي على تأييد الجزائر لحركات التحرر العالمية وبعدما أنهيت كلمتي أمام عدد كبير من الصحافيين العالميين سألني صحفي أمريكي: ما هو نوع السلاح الذي تقدمونه لحركات التحرير؟ لكن أميكال كابرال أخذ الكلمة وخاطب الصحفي الأمريكي قائلا: هذا السؤال يوجه إلينا وليس إلى الجزائر ..خذ قلمك، وبقي جميع الصحافيين في انتظار أن يخبرهم كابرال بنوع السلاح الذي يستلمونه من الجزائر، لكنه قال لهم "المسيحيون يحجون إلى الفاتكان والمسلمون يحجون إلى مكة المكرمة أما الجزائر فهي كعبة الثوار." (16)

وبالوقوف على المسار التاريخي للثورة الجزائرية، يظهر واضحا لنا تأثير الثورة والمواقف السياسية للجزائر في دعم الحركات التحررية في إفريقيا، التي لم يكن فيها إلا ثلاث دول مستقلة عند انطلاق الثورة التحريرية في الجزائر في أول نوفمبر عام 1954 وهي مصر وإثيوبيا ومنروفيا، فقد توالت بعد انطلاق الثورة الجزائرية حرية الأقطار الإفريقية ابتداء من تونس والمغرب ثم غينيا، وفي عام 1960 منحت فرنسا الاستقلال لكل من الدول التالية: مالي – السنغال – فولطا العليا (بوركينا فاسو حاليا) ساحل العاج وإفريقيا الوسطى وتشاد والنيجر والغابون والكونغو برازافيل والكاميرون وموريتانيا.وكل ذلك لتتفرغ فرنسا للثورة الجزائرية إلا أن السحر انقلب على الساحر فأصبحت حالات الإستقلال الجديدة رصيدا وطاقة دفعت الجزائريين إلى الإصرار على الحرية في معادلة تبادلية بين شعوب القارة من أجل استقلال وتحرر القارة الإفريقية

لقد كشفت إحدى افتتاحيات جريدة المجاهد، لسان حال الثورة، الوعي الكبير بالدور التحرري للجزائر في إفريقيا، ففي عام 58 سجلت قيادة الثورة بحسب ذات الجريدة، أن: " **انتصار الثورة الجزائرية سيعزز عقيدة وآمال جميع الشعوب التي ما تزال تحت وطأة الاحتلال الأجنبي وخصوصا في القارة الإفريقية. كما أنه سيضع**

حدا نهائيا للأطماع الاستعمارية" [17] وبقي خطاب الثورة مستمرا في هذا المنحى، وفي مختلف المحافل الدولية، عاكسا لإستراتيجية دعم التحرر الإفريقي، فقد جاء في خطاب للسيد أمحمد يزيد، أحد أركان الإعلام الثوري الجزائري،**أن : " تضامننا الفعال شرط لتحقيق أهدافنا في حرية إفريقيا البطولي الذي يقوم به إخواننا في الشرق، وفي الغرب وفي الوسط والجنوب من القارة الإفريقية ".** [18]

فقد جاء في ميثاق طرابلس 1962[19] **"أن الجزائر تستعيد سيادتها في سياق دولي ما فتئ ميزان القوى يتطور فيه لفائدة الشعوب المحبة للسلام وعلى حساب الامبريالية وتسلطها ... .فإنه من الواجب توجيه السياسة الخارجية للجزائر المستقلة بالاعتماد على مبادئ محاربة الاستعمار والامبريالية من أجل دعم حركات الوحدة في المغرب الكبير والوطن العربي وإفريقيا ودعم حركات التحرر والنضال من أجل السلم عبر محاربة الاستعمار والإمبريالية ودعم حركات النضال من أجل الوحدة،ودعم حركات التحرر ، والنضال من أجل التعاون الدولي".**

ومن أهم الأعمال السياسية والدبلوماسية الجزائرية خلال السبعينات العمل على صناعة رأي عام داخل الأمم المتحدة من أجل دعم حركات التحرر خصوصا في الجمعية العامة للمنظمة الأممية، حيث انتهى عملها إلى بلورة موقف لدى أغلبية من الدول الأعضاء للتصويت على قرار طرد ممثل النظام العنصري لجنوب إفريقيا، وكانت هذه اللحظة التاريخية من عام 1974 من أهم المواقف التي يحتفظ بها تاريخ دعم حركات التحرر العالمي للجزائر فضلا عن موقفها التاريخي في دعم القضية الفلسطينية ودعوة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات إلى إلقاء الكلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة كما هو موثق في سيرة الرئيس بوتفليقة بالوثائق الرسمية لرئاسة الجمهورية.

من جهة أخرى، كانت الجزائر قاعدة للزوايا الدينية والطرق الصوفية، ومن أهمها الطريقة القادرية التي تقع رئاستها بالجزائر ممثلة في مشيخة عموم إفريقيا في الجنوب

الجزائري، والأمر نفسه ينطبق على الزاوية التيجانية، التي تمتد في كل إفريقيا تقع رئاستها بالجزائر ممثلة في الخلافة العامة بالأغواط بالجنوب الجزائري أيضا، وهاتان الطريقتان هما الأكثر امتدادا وتأثيرا في القارة دون إغفال الطريقة الرحمانية والعلوية وطرق منطقة توات التي لا تزال إلى اليوم ذات تأثير مباشر في الشعوب الإفريقية .

وبالرغم من الاستهداف المزدوج الذي أخرج الطريقتين الأكبر في البلاد من سياقات التأثير المباشر، بعدما استهدف الاستعمار كل الزوايا بالتشويه والاختراق مما يتطلب البحث الأعمق في مواقف العديد من الباحثين تجاه دور الزوايا في التحرر والرفض للاستعمار، وهنا نشير إلى أن مريدي هذه الطرق كانوا فعالين في العديد من الدول الإفريقية ضمن حركات التحرر وضاع نضالهم في الدعاية المضادة للزوايا، كما أن التيارات السلفية أو بالأحرى الوهابية لعبت دورا كبيرا في حجب هذا الدور السياسي التحرري للزوايا في الجزائر كامتداد لحرب الوهابية على الخلافة العثمانية التي كان التصوف هو عمقها الديني. ولعل عبد القادر المالي والراحل شريف مساعدية ومن معهما كانوا محتضنين في الزوايا وهم يقومون بدور مميز في التحرر من مواقع البوابة الجنوبية للجزائر عبر مالي والنيجر.

ثالثا : استرجاع استقلال الجزائر لا يكتمل إلا بالتحرر الإفريقي :

أن الجزائر التي أعطت النموذج في قضية التحرر أمام القارة الإفريقية كانت سببا في إيقاظ همم الشعوب من كابوس الهيمنة ومحاولة فرض الأمر الواقع الاستعماري، وفتحت لهم الأبواب أمام أمل التحرر وجعلتهم يرفضون الحلول الجزئية التي أراد الاستعمار أن يعالج بها البدايات الأولى لحركات التحرر حيث اقترح الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول الحكم الذاتي على تونس وعلى غانا الذي رفض، فاستمرت عملية المطالبة بالتحرر إلى أن انتهت فرنسا إلى خيار استقلال العديد من الدول لتتفرغ إلى إنهاء الثورة

الجزائرية فقد كانت الجزائر تمثل لها القطعة الأهم في إمبراطوريتها الاستعمارية وهو معنى آخر يضاف إلى حالة التأثير في التحرر الإفريقي

ولان حركة تحرر الجزائر كانت ثورة فقد استمرت بعد استرجاع الاستقلال في احتضان حركة التحرر على المستوى السياسي باستمرار الموقف الجزائري الداعي إلى تصفية الاستعمار والذي تجسد بأوضح الأشكال في دعم الشعب الصحراوي ودفاعه عن قضية الصحراء الغربية باعتبارها من أهم حالات التحرر لشعب من شعوب المغرب العربي والجوار الجزائري، وقد ساهم هذا الدعم في صناعة رأي عام عالمي ورأي عام إفريقي على المستوى السياسي وعلى مستوى المنظمات الأممية والإقليمية كما على مستوى احتضان اللاجئين الصحراويين بالجزائر الى اليوم.

ويمكن الإشارة أيضا إلى أن الجزائر لم تكن وحدها الحاضنة التحررية ولا وحدها النموذج ولكن لا احد يجادل في أنها كانت النموذج الأبرز على مستوى الرمزية والاحتضان في إفريقيا مما يعطيها ميزة في عقيدة التحرر قادت مواقفها الدبلوماسية بعد ذلك حين بقيت ترفض التدخل الأجنبي في أي دولة وتحرص على أن تكون إفريقيا متحررة من الاستعمار ومتحررة في قرارها السياسي وقرارها الاقتصادي

وقد دفعت الجزائر فاتورة مواقفها التحررية، وذلك بالضغط المستمر عليها من طرف القوى الاستعمارية، التي لا تزال تدفع إلى خيارات إعادة صياغة الخارطة السياسية للعالم وفق مصالحها الإستراتيجية بإدخال إفريقيا في الصراعات البينية ومحاولات تقسيم دولها المحورية وجرها إلى التوترات من اجل القضاء على أية قوة قائدة أو دولة قاطرة في القارة .

رابعا : احتضان ليبيا لحركات التحرر الإفريقي، من السنوسية إلى القذافي

ساهمت ليبيا سواء في مرحلة السنوسية [20] أو مرحلة العقيد القذافي كثيرا في حركة التحرر ودعم الثورات من أجل الحرية والاستقلال والسيادة؛ حيث مثلت صورة

واضحة لحالة الرمزية والنموذج والبيئة الحاضنة لمراكز الدعم وتوفير القواعد الخلفية لحركة التحرر الإفريقي وإسنادها للموقف التحرري العسكري والسياسي الذي لم يكن شكله العسكري هو الشكل الوحيد خصوصا في مرحلة ما بعد الاستعمار.

ففي حوار للزعيم الليبي الراحل معمر القذافي أشار إلى ما قامت به ليبيا عندما تبنت حركات التحرر في إفريقيا وحركة التحرير الجزائرية، وعملت معسكرات لحركة التحرير الجزائرية في الأراضي الليبية بكل احتياجات المعسكرات المادية والسياسية والعسكرية والأمنية، وأقامت معسكرات التدريب والدعم بمختلف أشكاله عبر توفير الحاضنة الحقيقية لحركة التحرر في جنوب إفريقيا، وفي زيمبابوي، وسوابو في ناميبيا، حيث كانت لكل حركات التحرر معسكرات في ليبيا، فوضعت ليبيا في القائمة السوداء، واعتبرت دولة إرهابية، ويجب معاقبتها وكانت المواجهة مع ليبيا. مبيناً أن ذلك حدث لأن ليبيا كانت تعتبر بمثابة حاضنة عالمية لحركات التحرر. (21) وقد دفعت ليبيا ثمنا باهضا على احتضانها لحركات التحرر بأن أصبحت عرضة للمواجهة مع أكبر دولة في العالم وهي أمريكا، التي قامت قواتها بقصف مواقع بليبيا وبأمر الرئيس الأمريكي حينها رونالد ريغان.

وقد كان الشباب يقودون المظاهرات المتكررة من أجل الجزائر ويعتبر الزعيم معمر القذافي، أن مظاهرة من أجل الجزائر كانت سببا في دخوله السجن أول مرة في حياته هو وزمرة من الشباب الثوري الليبي، مؤكدا بالحرف الواحد أن : "**أول مرة دخلت فيها السجن وتعرفت على السجن في مظاهرة قمنا بها من أجل الجزائر، ومن الصدف أن بعض إخواني الذين قاموا معي بالثورة وكانوا طلبة في ذلك الوقت في مدارس متعددة، وجمعتنا تلك المظاهرة، وتعرفت عليهم في حجرات السجن، وأصبحنا رفاقا إلى أن قامت الثورة في 1969.** " (22)

وتعود حالة الدعم الليبي لحركات التحرر إلى بداية تأسيس الحركة السنوسية حيث كانت الزّوايَا السنوسيّة بمثابة مراكز إسلامية شاملة. فإلى جانب تلاوة القرآن الكريم والعلوم الدينيّة والشرعيّة، كان يمارس فيها النشاط السياسي والاقتصادي؛ أيّ أنّ الزّوايَا كانت لها أهمية **الدين والدولة** لان الزاوية السنوسية كانت عبارة عن مدينة جهادية تحتوي على مركز صناعة السلاح ومركز تربية الخيول ومركز القرآن وعلوم الدين ومركز تدريب المجاهدين على الدعوة والجهاد .

وامتدت الزوايا السنوسية في حزام كبير من إفريقيا الشمالية إلى باقي القارة، انطلاقا من السودان إلى المغرب، مرورا بليبيا والجزائر ومالى والصحراء الغربية والنيجر في قرابة 149 زاوية، مرتبطة كلها بالزاوية الرئيسية في "**الجغبوب**" بليبيا وتغلغل تأثير السنوسيّة في المناطق التي أقيمت فيها الزّوايَا وما حولها، وتوثقت الروابط السياسيّة والثقافيّة والاقتصادية مع مملكة كانم بدولة تشاد، ونظراً لطبيعة البدو لم تقع مصادمات أو مواجهات مع المجتمع التشادي، لأنّ الحركة السنوسيّة تتلاءم مع المجتمع البدوي، تقوم علي حاجاتهم، وتتفق مع رؤاهم، إلى جانب ذلك شارك السنوسيون مع التشاديين في معارك دامية في الشمال التشادي ضد الغزاة الفرنسيين خلال الفترة ما بين 1910م إلى 1913م.

ففي التشاد مثلا "يعود أثر الحركة السنوسيّة في تشاد إلى بداية العلاقة بين السنوسيّة ومنطقة السودان الأوسط، وإلى اللقاء الذي تمّ بين مؤسس الحركة السنوسيّة الإمام محَمّد بن علي السنوسي والسيد محَمّد شريف بن صالح التشادي في مكة المكرمة أثناء وجودهما في الحجاز. والسيد محمّد بن صالح هو أحد أفراد العائلة الحاكمة في مملكة وداي بتشاد. ومملكة وداي هي أحدى ثلاث ممالك كانت حاكمة في تشاد، والممالك هي (مملكة كانم، مملكة باقرمي، مملكة وداي)، واستمرت هذه الممالك قرابة تسعة قرون. ونظراً لموقع مملكة وداي الجغرافي المتاخم للسودان ومصر وليبيا، وعلاقتها الوثيقة عن

طريق القاهرة بالباب العالي في اسطنبول في فترة الخلافة العثمانية، فقد لعبت المملكة دوراً كبيراً في نشر الإسلام، وتطور اللغة العربيّة في المنطقة. وهذا الدور يماثل دور مملكة كانم في تشاد وإنّ لم يتحقق الكثير لمملكة باقرمي نتيجة لموقعها الجغرافي.

تأثر السيد محَمّد الشريف بالدعوة السنوسيّة وتعاليمها. وعقب عودة كل منهما إلى بلده – بعد الإقامة في الحجاز– ظلا على اتصال فيما بينهما، وبعد تأسيس الحركة السنوسيّة في ليبيا وتولي السيد محمّد الشريف (1835 – 1858م) الخلافة في " **وداي** "خلفاً لشقيقه سلطان علي الشريف، توطدت العلاقة، فازدادت الروابط بين السنوسيّة و" وداي " منذ ذلك العهد. وخاصة بين الخليفة محمد المهدي السنوسي، والسلطان يوسف بن محَمّد الشريف (1874 – 1898م). [23] وكانت الزوايا السنوسية كانت تقطع طريق القوافل التجارية الاستعمارية المحملة بالرقيق والعبيد، فتحررهم وتأخذهم إلى الزوايا تربيهم على الدعوة والحرية والإسلام، وتعيد إرسالهم إلى شعوبهم دعاة للإسلام والتحرر من الاستعمار. وكانت يشتري العبيد من القبائل وتحررها وترسلها إلى أصولها الإفريقية حيث كانت الوثنية منتشرة وتحتاج الدعوة إلى تجنيد آهل تلك المناطق لتوفير آثار أفضل للدعوة الإسلامية [24]

وعلى مستوى احتضان ليبيا للثورة الجزائرية فقد كانت ليبيا متقدمة في الرمزية التي جسدها السنوسيون، بل أن الحركة السنوسية كانت على اتصال بالشيخ بوعمامة خلال ثورته المقاومة على مدى أكثر من عشرين سنة، كما كانت رمزية عمر المختار القائد المميز لحرب العصابات خلال الثلاثينات ثم استشهاده الذي رمز لمعادلة التضحية أساس التحرير والثبات طريق النصر والتي كان الشارع العربي يتفاعل معها بشكل كبير ألهب مشاعر الشعوب نحو دعم حركات التحرر وخيار المقاومة والثورة ضد الاستعمار

ولما قامت الثورة الجزائرية كان مبتدأ الدعم بدفعات السلاح التي مررتها اللجنة العليا الليبية لدعم الثورة الجزائرية حيث يورد أحمد بن بلة في مذكرات شهادات بالغة

الوضوح حول تميز ليبيا في دعمها للثورة الجزائرية فيقول : " كانت ليبيا على المستويين الرسمي والشعبي وبمختلف أجهزتها المركز الأول في إيصال النجدات العسكرية لجنود الثورة الجزائرية عبر منافذ الحدود التي تربط بين ليبيا والجزائر." [25] وتشير شهادة بعض المجاهدين إلى ثقة عالية تتجاوز ثقة الثورة في الجانب المصري لان التهريب للأسلحة كان يتم في سرية عن الجانب المصري فعند الحديث عن الطريق الذي تسلكه الأسلحة انطلاقا من مصر حتى الجزائر، قال المجاهد رابح مشحود إن "**شحنها يتم بطريقة سرية جدا حتى على المصريين، حيث تخرج الأسلحة في سيارات مدنية إلى منطقة معبر السلوم على الحدود الليبية المصرية، ومن ثمّ يتولى العقيد عبد الحليم درنة، مهمة توصيلها إلى منطقة بنغازي الليبية، حيث يتم إخفاؤها من طرف تاجر شاي بالجملة اسمه سعد الشريف، فيغطيها بشكل مموه على أساس أنها شاي، ومن ثمّ تستكمل وجهتها نحو طرابلس، حيث كانت توضع الأسلحة في منطقة اسمها "سيدي المصري" وبالضبط داخل مسجد "مزران" وتغطى بأفرشة المسجد، قبل أن يتم نقلها مرة أخرى كأكياس شاي إلى منطقة "جميل" غرب مدينة طرابلس، ومن ثمّ إلى تونس، ثم إلى الجزائر." ويفصل بدقة تصويره للحالة في أدق تفاصيلها حين يقول:"في الليالي القمرية كنا نستعمل الحمير للتنقل، لأن البعير في الظل يبدو ظله كبيرا، وفي الليالي المظلمة ذات الظلام الدامس، كنا نستعمل الإبل** " [26]

وقد أوردت الباحثة بسمة خليفة أبو لسين في كتابها القيم – الليبيون والثورة الجزائرية – وثائق قيمة تعكس حالة الهبة الليبية الواسعة لنصرة الثورة الجزائرية بالتبرعات وهي تتحدث عن مئات الحالات من مختلف أشكال الدعم من التبرعات مثل دخل يوم من مدخول باعة الخضروات والفواكه بالجملة ودخل يوم من مقهى السيد علي مرشان صاحب مقهى وراتب يوم من راتب السيد رئيس الوزراء والسادة الوزراء في الحكومة لعام 1959 . [27] كما دعت لجنة المقاطعة للبضائع الفرنسية إلى توسيع دائرة المقاطعة

الاقتصادية للضغط على فرنسا، ومن أمثلة ذلك بيانها في 14 ديسمبر عام 1960 والذي جاء فيه: " **الشعب العربي في الجزائر يناديك لمقاطعة عدوه" ." إذا كنا صادقين في تعاوننا مع الجزائر فلنقاطع فرنسا الغاشمة " " كل قرش تدفعه في بضاعة فرنسية يتحول إلى رصاصة في صدور الأبرياء " وفيه" التعامل مع فرنسا خيانة كبرى للجزائر "**

بل تعدى الأمر إلى تنظيم المباريات الرياضية وجعل مداخيلها للثورة وتحريض المتفرجين على الهتاف باسم الثورة ومناصرتها. كما أن الوعي الليبي في دعم القضية التحررية في ثورة الجزائر كان سابقا لزمانه حيث جندت اللجنة المخصصة لجمع التبرعات مكونات كل القطاعات التجارية والزراعية والطلابية والسياسية والفكرية والرياضية والرجال والنساء لتحول الجهاد المالي لدعم الثورة الجزائرية ظاهرة عامة ومستمرة إلى ما بعد استرجاع الاستقلال؛ حتى أنه كانت هناك مجموعة من "المكفوفين الليبيين" [28] يذهبون للتسول من أجل جمع المال والتبرع به للثورة الجزائرية " وهو ما يؤكد مدى ترابط وتضامن الشعب الليبي مع ثورة الجزائر ..

وحتى خلال فترة الأعياد يتم جمع جلود الأضاحي لبيعها والتبرع بما تدره من أموال لدعم الثورة الجزائرية.'' كما كشف المجاهد رابح مشحود في حوار صحفي سنة 2015 معتبرا أن حجم الدعم الليبي للثورة الجزائرية لا يعلمه إلا الله . [29] ولم تكتف لجنة الدعم الليبي للجزائر بجمع التبرعات من الليبيين وحدهم بل اتصلت بالجاليات الموجودة في ليبيا وحرضتهم على التبرع للثورة الجزائرية ومنها الجالية اليهودية والايطالية والانجليزية وهذه الجاليات كانت ميسورة الحال تجاوبت مع توجه الرأي العام حرصا على مصالحها التي كانت وسيلة ضغط وتجنبا لمقاطعة الشعب الليبي لها . فتبرعت الجالية اليهودية ب35000 جنيه ليبي والايطالية ب105.85 جنيه ليبي والجالية الانجليزية ب116000جنيه ليبي . [30]

الخاتمة

ليس مستغربا استمرار حالة التفاعل مع حركات التحرر في النظم السياسية الثورية وضموره لدى الدول الناشئة عن قرارات سايكس بيكو أو دول الحماية الاستعمارية، ولقد كان الاستعمار هو الاعتداء المباشر للدول الرأسمالية على الشعوب المستضعفة ولذلك فان التيارات التحررية لم تكن لتتحالف معه، ولا هو كان لديه الأيدي الممدودة لإصلاح الأضرار التي خلفها أو الاعتذار عنها .

وقد كانت دول النظام السياسي الاشتراكي تتجه نحو الوحدة والتحرر مما جعل الساحة الدولية تشهد توجها كبيرا لحركات التحرر باتجاه المعسكر الاشتراكي الذي انعكس بعد ذلك في مشاريعها السياسية في حالة الاستقلال وتشكل الدولة الوطنية ما بعد الاستعمار؛ في حين ارتهنت الدول الإفريقية التي انخرطت في توجه المنظومة الليبرالية ضمن خياراتها الإستراتيجية فلم تستطع العمل على المحور التحرري بل كان لبعضها مواقف معاكسة للحركات التحررية .

وإذا كان هذا الاتجاه هو ما نقرأ من خلاله موقف الجزائر وليبيا الرسمي والشعبي موضوع الورقة فإننا نجد الحالات الشعبية اليسارية والإسلامية والقومية على حد سواء تعمل خارج خيارات أنظمتها في حقل داعم لحركات التحرر فالحالة التونسية أو المغربية لم تخل شعبيا من دعم أحرار العالم عامة وإفريقيا خاصة ومن المهم الإشارة إلى أن تونس قد شهدت حالة مميزة في النموذج العمالي الذي مثله الاتحاد العالم التونسي للشغل كنقابة تحررية لم تكن حدودها العمالة التونسية فقط بل كانت تدافع عن تحرر عمال إفريقيا كلهم ومثل زعيمها فرحات حشاد روحا نضالية افريقية عالية [31] في حين نقرأ الموقف التونسي الرسمي البعيد نسبيا عن دعم حركات التحرر وأكثر منه الموقف المغربي الرسمي الذي لا يزال يمثل صورة معاكسة باحتلاله الصحراء الغربية التي هي آخر حركات التحرر في القارة.

الهوامش

1- مؤتمر كامبل بنرمان ، هو مؤتمر انعقد في لندن عام 1905 واستمرت جلساته حتى1907 ، بدعوة سرية من حزب المحافظين البريطانيين يهدف إلى إيجاد آلية تحافظ على تفوق ومكاسب الدول الاستعمارية إلى أطول أمد ممكن. وقدم فكرة المشروع لحزب الأحرار البريطاني الحاكم في ذلك الوقت وضم الدول الاستعمارية في ذاك الوقت وهي :بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، إيطاليا .وفي نهاية المؤتمر خرجوا بوثيقة سرية سموها "وثيقة كامبل "نسبة إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك هنري كامبل بانرمان.

2- مقتطف من خطاب الرئيس هواري بومدين عام 1975 أمام إطارات الدولة ،الجزائر

3- الحركة التحررية هي رد فعل ضد الاستعمار والسيطرة الأجنبية ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى واتضحت معالمها أكثر خلال الحربين العالميتين وكانت تكتسي طابعا سياسيا ثم تطورت بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت تكتسي طابعا عسكريا بالاعتماد على الكفاح المسلح الذي نتج عنه استقلال جزء كبير من المستعمرات في القارات الثلاث : آسيا، إفريقيا وأمريكا اللاتينية في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثاني ومن اهم رموزها : غوفان مبيكي، كوامي نكروما ، باتريس لومبا ،،احمد بن بلة ، نلسون مانديلا ، شيغيفارا

4- القضية الفلسطينية هي القضية المركزية في الصراع العربي الحديث وهو مصطلح يشار به إلى الاستعمار الصهيوني والمشكلة الفلسطينية بدءاً من عام 1897 (المؤتمر الصهيوني الأول) وحتى يومنا الحالي.. وترتبط بشكل جذري بنشوء الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، والاستيطان فيها، ودور الدول العظمى في أحداث المنطقة.و قضية اللاجئين الفلسطينيين واحتلال الأراضي الفلسطينية. وما نتج عن ذلك من المجازر بحق الفلسطينيين وعمليات المقاومة ضد الصهيونية.

5- الصحراء الغربية دولة افريقية احتلتها اسبانيا وخرجت منها العام 1975 حيث أعلنت جبهة البوليزاريو قيام جمهورية الصحراء الغربية بالساقية الحمراء ووادي الذهب وقام المغرب باحتلالها فتحولت إلى حالة آخر استعمار في إفريقيا حيث يحتل المغرب 80 بالمائة من أراضيها رغم أحكام محكمة العدل الدولية بعدم وجود روابط سيادية للمغرب على التراب الصحراوي

6- مصطلح المغرب الأوسط مصطلح يطلق على الجزائر في كتب المؤرخين القدامى مثل المغرب الأدنى والمغرب الأقصى

7- المغرب العربي اسم لدول غرب شمال إفريقيا وهي تتألف من خمسة أقطار هي موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا ،أنشأت هذه الدول في 17 فبراير 1989 تكتلا إقليميا من خلال التوقيع على معاهدة إنشاء اتحاد المغرب العربي و يعتبر الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أول من استعمل مصطلح المغرب العربي بعد أن أسس لجنة تحرير المغرب العربي، في البيان الذي أصدره بمناسبة تأسيسها في 6 كانون الثاني، 1947 .

8- هو الأمير عبد القادر الجزائري بن الامير محي الدين ؛ يعتبر مُؤَسِّس الدولة الجزائرية الحديثة، عالمُ دينٍ، شاعر، فيلسوف، سياسي ومحارب في آنٍ واحدٍ، اشتهر بمناهضته للاحتلال الفرنسي للجزائر ولد في رجب 1222هـ الموافق لماي1807م 19وتوفي في رجب 1300هـ الموافق 26 مايو 1883م قاد المقاومة ضد فرنسا من منظور دولة ومشروع تحرري وكان له مواقف إنسانية في حماية المسيحيين بمنفاه بسوريا

9- الخلافة الإسلامية نظام حكم إسلامي تأسس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم على تطبيق الحكم الإسلامي وتختلف بين السنة والشيعة فالخليفة عند السنة يخلف بتعيينه حاكماً على الأمة، وعند الشيعة هو الإمام ولا يشترط أن يكون الإمام حاكماً وانتهى نظام الخلافة منذ سقوط السلطان العثماني عام1924 م ومن أهم نماذجه الخلافة الراشدة ثم الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية

10- يعتبر الأمير خالد مؤسس للحركة الإصلاحية حسب الدكتور سعد الله، فقد استغل الرصيد النضالي لجده الأمير عبد القادر ومعرفته للحضارة العربية الإسلامية للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى. بدأ نشاطه السياسي بعد تقاعده من الجيش الفرنسي على جبهتين: الأولى: التصدّي لدعاة الإدماج و الداعين إلى التجنّس بالجنسية الفرنسية، والثانية ضد غلاة المعمرين والنوّاب الفرنسيين. وقد بعث الأمير خالد ب عريضة إلى الرئيس الأمريكي ولسن يطرح فيها مطالب الجزائريين ؛ أسس الأمير خالد جريدة الإقدام سنة 1920 للتعبير عن أفكاره والدفاع عن فكرة المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق السياسية. ولد 1875 بدمشق و شارك في

الحرب العالمية الثانية كضابط وانسحب من الجيش الفرنسي سنة 1919 واستقر بالجزائر شارك في مؤتمر باريس للدفاع عن حقوق الإنسان

11- وودرو ويلسون- 28 ديسمبر 1856 - 3 فبراير 1924- الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من 4 مارس 1913إلى 4 مارس 1921.كان أكاديمياً في مقتبل حياته حتى صار رئيساً لجامعة برنستون، ثم الحاكم رقم 45 لولاية نيو جيرسي من عام 1911 إلى 1913 م. كان ثاني رئيس ديمقراطي يحكم لمدتين متواليتين بالبيت الأبيض بعد أندرو جاكسون. تولى الرئاسة بعد فوزه في انتخابات عام 1912 مرشحاً عن الحزب الديمقراطي ضد كل من الرئيس ويليام هوارد تافت، والرئيس السابق ثيودور روزفلت. في فترة رئاسته الأولى (1913-1917) أبقى بلاده محايدة إزاء الحرب العالمية الأولى.قاد الولايات المتحدة الأمريكية ، وعرف بمبادئه الأربعة عشر وهو أول من أعطى الحمامة كرمز للسلم.

12- هو في الأصل منظمة تأسست بفرنسا في مارس 1962 من طرف العمال الجزائريين المهاجرين كانت نواته الاولى الحاج علي عبد القادر ، بغلول ، مصالي الحاج، سي الجيلالي الذين لعبوا الدور الأساسي، وكان الرئيس الشرفي للحزب هو الامير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري المنفي في فرنسا

13- محمد بن عبد الكريم الخطابي ولد في المغرب1882 - توفي في القاهرة، 6 فبراير1963 رجل سياسي وقائد عسكري مغربي من منطقة الريف، وكان قائدا للمقاومة الريفية ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي للمغرب. وهو مؤسس ورئيس جمهورية الريف، بين عامي 1921 و1926. ويعتبر من أهم قادة الحركات التحررية في النصف الأول من القرن العشرين، وأستلهم سيرته السياسية والعسكرية العديد من الحركات التحررية العالمية .

14- أسس الأمير محمد عبد الكريم الخطابي (1882 - 1963) لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة سنة 1948م بناءً على طلب مجاهدو شمال إفريقيا المقيمين في القاهرة بتكوين هيئة مغربية كبيرة توحد جهودهم

15- احد مناضلي الحركة الوطنية إلى غاية اندلا ع الثورة التحريرية، لينضم إلى صفوف جيش التحرير الوطني سنة 1955م. وبعد الاستقلال، واصل المجاهد جلول ملايكة نضاله الوطني لينتخب نائباً بالمجلس الوطني التأسيسي، كما كان نائباً بالمجلس الشعبي الوطني لعدة دورات. ولد في

17سبتمبر 1928م بوادي العلايق (البليدة)، شغل منصب مستشار الرئيس هواري بومدين ومسؤول مكتب حركات التحرر بحزب جبهة التحرير الوطني.

16- جلول ملائكة في حوار مع جريدة **المستقبل** الجزائرية ،04 / 07 / 2009

17- **المجاهد** العدد - 20 – 1958/03/15

18- من خطاب محمد يزيد وزير الأخبار في ندوة أديس أبابا بإثيوبيا 14-24 جوان 1960

19- ميثاق طرابلس ما بين ماي- جوان *1962*

20- المملكة الليبية اعلن تأسيسها الأمير محمّد إدريس السنوسي في 24 ديسمبر 1951 م، في مدينة بنغازي كبداية الاستقلال وميلاد الدولة الليبيّة بعد جهاد الشعب الليبي، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة ، وبناءً على قرار الجمعيّة الوطنيّة الصادر بتاريخ 2 ديسمبر 1950 حيث اعتبر أنّ ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، وأنّه اتخذ لنفسه لقب ملك المملكة الليبية المتحدة، وأنّه سيمارس سلطاته وفقاً لأحكام الدستور.

21- من كلمة الرئيس معمر القذافي مع الوفد الشعبي الجزائري جويلية 2010. نشر في موقع ليبيا 2

22- نفسه .

23- محمد شريف جاكو ، **العلاقات السياسيّة بين تشاد وليبيا** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1989.

24- الصلابي ، **تاريخ الحركة السنوسية في ليبيا** ، دار المعرفة ، بيروت، 2009

25- محمود شاكر ، **التاريخ الاسلامي** ، المكتب الإسلامي ، بيروت، 1996،ج14 ،ص 437 ، نقلا عن الصلابي، **الثمار الزكية**، دار التوزيع والنشر ،القاهرة،2005 ، ص144

26- روبير ميلر ، **مذكرات أحمد بن بلة** ، دار الآداب ، بيروت ،1979

27- المجاهد رابح مشحود حوار لقناة البلاد الجزائرية – الحلقة الثالثة من شهادته عبر برنامج "**صنعوا الحدث**" يوم -19 12-2015

28- نفسه

29- بسمة خليفة أبو لسين ، **الليبيون والثورة الجزائرية** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، ص 222

30- المجاهد رابح مشحود حوار لقناة البلاد الجزائرية – الحلقة الثالثة من شهادته عبر برنامج "**صنعوا الحدث**" يوم 19-12-2015

31- في جويلية 1951، دعا فرحات حشاد في المؤتمر الثاني للسيزل بميلانو إلى إنهاء النظام الاستعماري، وفي سبتمبر من نفس السنة طرح حشاد قضية الاستعمار بشمال إفريقيا في مؤتمر النقابات الأمريكية .AFL هذه المواقف الوطنية إضافة إلى الدعم المبدئي من قبل الاتحاد لحركات التحرر الوطني في الوطن العربي وعلى رأسها حركة التحرر الوطني الفلسطيني تفسّر اتخاذ قرار اغتيال فرحات حشاد في 5 ديسمبر 1952 من قبل الأوساط الاستعمارية ولاسيما أعلى هرم السلطة في باريس، وهو ما يمثّل جريمة استعمارية تستدعي مزيد الإلمام بحيثياتها .وبقطع النظر عن ظروف الاغتيال فإنّ حركة التحرر الوطني استفادت من استشهاد فرحات حشاد، واستثمرت الحادثة أطراف عديدة ضد الاستعمار وقد أثارت جريمة الاغتيال ردود فعل متنوعة على الصعيد العربي وفي الجزائر نشرت الصحف صورة حشاد في صفحاتها الأولى، كما نشرت بيانات التنديد الصادرة عن النقابات والأحزاب، وأعلن الإضراب العام في المغرب في بداية جانفي 1952،. وتجاوزت أصداء جريمة اغتيال حشاد والمجازر المرتكبة في حق الوطنيين بالمغرب الأقصى شمال إفريقيا إلى المشرق العربي، حيث نشرت الصحف الصادرة بالقاهرة وبيروت مقالات وتقارير إخبارية حول أحداث المغرب العربي وصدرت بيانات المساندة عن هيئات وجمعيات مثل جمعية «العروة الوثقى البيروتية» ونادي الأساتذة والطلاب اللبنانيين و وصل صدى جريمة اغتيال حشاد إلى أوروبا وأمريكا، واستندت عليه بعض الدول الإفريقية والأسيوية المناهضة للاستعمار لمطالبة الأمم المتحدة بإصدار قرار يدين الاستعمار الفرنسي . وهكذا فقد استفادت قضية التحرر الوطني من نضالات الطبقة العاملة، ذات المصلحة في مقاومة الاستعمار ومن تضحيات رموزها، وهو ما يفسّر المكانة المميزة التي يحتلها الاتحاد العام التونسي للشغل سمير البكوش، «ظرفية 1948 وتدعم العمل النقابي الوطني»، كما أورد ذلك د. مبارك زكي في كتابه حول«اغتيال حشاد: ط.مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، جانفي 2002